IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

[الفضاء الثقافي المضمر عند أبي الطيب المتنبي قصيدة العيد نموذجا]

[إعداد الباحث: رامي كمال عبدالحميد أحمد]
[الانتساب: أستاذ التّعليم الثانوي وباحث دكتوراه، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة الرّباط –المغرب]

الملخص:

تحتاج الثقافة العربية إلى غربلة دقيقة؛ لمعرفة جوانب الضعف والانهيار الذي خيم عليها وجعلها تتراجع بشكل ملحوظ ومخزي أمام الثقافة الغربية. ومن ثم اخترت جانب من ضمن عدة جوانب للفت الانتباه إليه وهو النسق الثقافي المضمر داخل الثقافة العربية، كما حرصت أن يكون جانب تطبيقي على أحد فحول الشعراء وهو أبو الطيب المتنبي في قصيدته المشهورة "العيد" في هجاء "كافور الإخشيدي". وقد وظفت أدوات النقد الثقافي في الدراسة، لاستخراج الأنساق والجمل الثقافية ومدى تسربها إلى الشعر الحديث، وكيف استطاعت فحولة المتنبي أن تغير في التاريخ وتحول الحق إلى باطل؟ وما هو الفضاء الثقافي الذي احتل مكان المتنبي في الوقت الراهن؟.

الكلمات المفتاحية: النسق الثقافي المضمر، الآنا الطاغية، المتنبي، كافور.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Arab culture needs careful sifting; To know the weaknesses and collapse that haunted it and made it retreat, significantly and shamefully, in front of Western culture. Then I chose one aspect from among several aspects to draw attention to, which is the implicit cultural system within Arab culture. I also made sure that it was applied to one of the poets' stallions, Abu al-Tayyib al-Mutanabi, in his famous poem "Eid" in the satire of "Kafour Al-Ikhshidi". The tools of cultural criticism have been used in the study, to extract cultural patterns and phrases and the extent of their infiltration into modern poetry, and how was Al-Mutanabbi'sstallions able to change history and turn the truth into false? What is the cultural space that occupied Al-Mutanabbi’s place at the present time?

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

- **فرضية الكتابة:**

نفترض أنّ المقال سيسعى لتطبيق منهج النقد الثقافي على نص من نصوص التراث الأدبي العربي؛ لكشف النسق الثقافي المضمر في القصيدة العربية. كما سيكشف المقال عن سيادة الشعر وقوته الإعلامية في طمس الحقائق التاريخية وتحويل الحق إلى باطل والعكس حين ذاك.

أهداف البحث:

يهدف العمل إلى:

- التعرف على تطبيق أدوات النقد الثقافي في تحليل القصيدة العربية.
- نقد هيمنة الخطاب الشعري وعلو سلطته ومدى خطورته في طمس الحقائق وتزيفها.
- الوعي بثقافة الشعر العربي، والنسق المضمر داخل القصيدة العربية، وربطها بما حل مكانها.
- إدراك تسرب الأنساق الثقافية إلى شعراء العصر الحديث وصعوبة تغييرها.
- تحليل القصيدة العربية بمقاييس ثقافية جديدة تتماشى مع النقد المعاصر، بعيدا عن الجماليات البلاغية المستهلكة.
- فضح أيديولوجية المؤسسات الإعلامية المماثلة التي تريد التحكم والسيطرة على العقول لغايات سياسية واقتصادية وغيرها.

- **المنهجيّة:** التاريخي، والتّحليلي التنظيمي، والتفكيكي.(أدوات النقد الثقافي)
- **الأهمّية:**

إلقاء الضّوء على النقد الثقافي العربي، واستخراج الأنساق المضمرة من داخل قصيدة العيد، ووضع منهج تقريبي للنقد الثقافي لتحليل القصيدة العربية، وفتح أبواب جديدة للتعرف على الشعر العربي واستساغه بسهولة، والتعرف على الجمل الثقافية التي تسربت إلينا عبر الشعر وفهمها.

الإشكاليّة:

كيف استطاع المتنبي تحويل المدح إلى هجاء عبر النسق الثقافي المضمر؟ وما هي أدوات النقد الثقافي الجديدة البديلة لتحليل القصيدة العربية؟

حدود البحث:

اقتصر البحث على تحليل قصيدة العيد من خلال أدوات النقد الثقافي؛ لكشف النسق الثقافي المضمر المتسرب إلينا عبر الأنا والفحولة الطاغية. عبر المحاور الآتية: النسق التاريخي، وتحقير الآخر، والاستهزاء به، والآنا الطاغية واعتداد الذات بذاتيتها، والهجاء المدحي، وثقافة صورة كافور في الشعر الحديث

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

تقديم:

إن الفضاء الثقافي أصبح ركنا أساسيا من أركان النقد الأدبي العربي الحديث، وخاصة بعد أن خرج النقد إلى العالمية، وأصبحت المناهج الغربية سلاح قوي ساند النقاد في تحليل خطابنا العربي من التراث إلى الحداثة، مما جعل كل ناقد يتميز بمنهج جديد استقاه من المناهج الغربية وطبقه على النص العربي، وما نحن بصدده الآن هو منهج من هذه المناهج ألا وهو النقد الثقافي الذي فتح له الباب على مصرعيه في النص العربي الناقد السعودي "عبدالله الغذامي"، ومنه بدأت الكتابات في الفضاء الثقافي بمختلف الاتجاهات، وقد جذبني جانب المضمر الثقافي الذي أصبح الشغل الشاغل لتسريب الأنساق الثقافية بدون وعي ملحوظ إلى الجمهور وصعوبة تغيره بسهولة، ولابد من وجود منهج يجاري هذه الأنساق المضمرة.

وعندما انتقلت إلى مرحلة التطبيق من الشاعر إلى النص لهذا المنهج وجدت نفسي أمام نص لأحد فحول الشعراء الأكثر نسقية وإعجابا في تحرك الذوق، ولكن المدخل الذي سأحاول تطبيقه هو إعجابنا واستجابتنا غير الواعية التي تتسرب إلينا جميعا من خلال الهيمنة الثقافية البلاغية، مما خلفت ورائها مضمرات نسقية ضخمة وخطيرة ساعدت على فرض الأنا المفردة الطاغية وسحق الآخر.

وسأحاول تطبيق النقد الثقافي على قصيدة "العيد" التي قيلت في وقفة عيد الأضحى في هجاء كافور الإخشيدي، وذلك من خلال إثبات مقولة الخليل بن أحمد في قوة الشعراء في تصوير الباطل في صورة الحق والعكس، وأيضا إثبات مقولة المتنبي نفسه في قوله: "وعداوة الشعراء بئس المقتنى" ومن خلال تفحيل الذات الطاغية ومنحها الحق المطلق في إلغاء الآخر، فيقول الغذامي عن المتنبي: "نحن أمام شاعر مكتمل النسقية فهو أقل الشعراء اهتماما بالإنساني، وتحقيرا له، فهو الذي هزأ بالحب والتشبيب، وهو الشاعر المفرط في ذاتيته وفي أناة الطاغية، وفي تحقيره للآخر[1]. وأما اختيارنا للهجاء وذلك لأنه هو أساس النواة النسقية للمدح، وسحرية الهجاء تبرز في العدوانية ضد الخصم والرغبة في تدميره وسحقه وتغيير نسقه الثقافي من حالة أخلاق إلى سوء أخلاق، وهذا ما حدث مع نصنا اليوم وشخصية القصيدة، حيث تحول كافور من شخصية جادة عادلة صامدة إلى شخصية تتصف بالخيانة والخذلان ولم تقف إلى هذا الحد بل أصبحت ثقافة الصورة السيئة هي السائدة داخلنا بدون وعي .وسأستخرج الأنساق الثقافية المضمرة من القصيدة من خلال النسق التاريخي، وتحقير الآخر، والاستهزاء به، والأنا الطاغية واعتداد الذات بذاتيتها، والهجاء المدحي، وثقافة صورة كافور في الشعر الحديث.

وهذه الدلالات النسقية تكونت مع الخطاب الهجائي من خلال تغلغله إلى داخلنا عبر المجاز، ليحتل ذاكرة اللغة ويهيمن على الذهنية الذوقية والعقلية، والمتنبي خدم هذا النسق بكل ما أوتي من قوى بيانية وبلاغية وتولى ترسيخه بداخلنا من خلال الحس الإبداعي له مما أصابنا بما يسمى بالعمى الثقافي، حيث شغلنا جمال التعبير عن عيوب النسق ومن أهم الجمل الثقافية والمؤشرات النسقية في النص:

[1]- عبد الله الغذامي: "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000،ص: 168.

1. **لولا العلى لم تجب بما أجوب بها**
وجناء حرف ولا جرداء قيد ود.

2. **ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه**
أني بما أنا شاك منه محسود.

3. **إني نزلت بكذابين ضيفهم**
عن القرى وعن الترحال محدود.

4. **صار الخصي إمام الآبقين بها**
فالحر مستعبد والعبد معبود.

5. **العبد ليس كحر صالح بأخ**
6. **لا تشتري العبد إلا والعصا معه**
إن العبيد لأجناس مناكيد.

7. **ما كنت أحسبني أحيا إلى زمن**
يسيء بي فيه عبد وهو محمود[2].

وقبل الخوض في تحليل النسق داخل الأبيات يجب أن نعي بأن هذا النص قيل في هجاء "كافور الإخشيدي"[3] حاكم مصر من قبل أبي الطيب المتنبي، وذلك عندما لم يظفر المتنبي بمبتغاه من كافور، فأصبح كافور يمثل في الذاكرة العربية صورتان متناقضتان، الأولى تاريخية تبرزها كتب التاريخ وهي مليئة بصفات حاكم شجاع وكريم وعادل وذكي، والأخرى التي سنتحدث عنها في التحليل هي الصورة المستمدة من شعر المتنبي وأصبحت في أحضان الأجيال القادمة من خلال شعرنا الحديث وثقافتنا الواهية، حتى أصبحت كلمة "كافور" رمزا للخيانة والانتهازية والجبن والكذب، رغم أنه من البديهي والطبيعي من يقرأ مدائح المتنبي وهجاءه لكافور يصل إلى هذا التناقض بسهولة، ولكن ما أثار الانتباه أن ذاكرة المتلقي العربي المعاصر لم تحتفظ إلا بنسق الصورة السلبية التي دخلت الوعي من خلال هجاء المتنبي لكافور، وذلك بسبب العمى الثقافي الذي غطى الصورة المشرقة الحقيقية لكافور وأكدتها كتب التاريخ. وسنبرز ذلك من خلال العودة إلى تحليل القصيدة حسب المؤشرات والجمل الثقافية ونبدأ بالنسق الأول وهو النسق التاريخي.

---

(2)- ديوان المتنبي: تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة، 2000 ص: 326-327-328.

(3) - يقول: ريجيس بلاشير، في كتابه "أبوالطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي"، ص 276. وعلى العكس من الصورة الأدبية، تبدو صورة كافور في كتب التاريخ مشرقةً؛ فنجد أن الإخشيد قد اشترى كافورًا الصبي إعجابًا بذكائه ونباهته وإخلاصه. كما أن المصادر تشير إلى أن ثقافة كافور واسعة فقد عيّن له الإخشيد أساتذة تلقى العلم والأدب على أيديهم، ثم أعتقه وجعل منه ضابطًا في الجيش بل وضعه على رأس جيش سيهزم سيف الدولة، وبعد وفاة الإخشيد أصبح وصيًا على الإمارة. وكان كافور على حد تعبير بلاشير "حاميًا لائقًا للآداب والفنون" ؛ فقد كانت الفسطاط مركزا ثقافيا تعقد فيه حلقات أدبية أهمها حلقة كافور. وترى سوزان بينكي ستيتكيفيتش، في كتابها "أدب السياسة وسياسة الأدب"، ص 136. أنّ كافورًا اشتهر بالحزم والعقل وحسن التدبير، كما أنّ المصادر التاريخية العربية تشير "إلى أنه كان شجاعا مقداما جوادا يُفضّل على الفحول. وتقدم هذه المصادر "لنا كافورا بوصفه إنسانا موهوبا في مجالات الحرب والسياسة والإدارة وإذا كانت الكفة راجحة لصالح سيف الدولة في المصادر الأدبية، فإنها ترجح لصالح كافور في المصادر التاريخية، بل إن كافورا يظهر بمظهر العادل في كتاب "الكامل في التاريخ" لابن الأثير في مقابل مظهر الجور والظلم الذي يتمثله سيف الدولة؛ ويحدثنا ابن الأثير عن دخول سيف الدولة إلى دمشق ولجوء أهلها إلى كافور رفعا للظلم.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

أ- النسق التاريخي:

فمن خلال المصادر التاريخية التي أشارت جميعها إلى أن "كافور الإخشيدي" حاكم عادل بخلاف ما ركزته فحولة المتنبي بداخلنا وسنعرف الآن مدى سلطة وقوة الطاغية في تغيير حتى مسار التاريخ، ولذا نبدأ بحديث ابن خلدون عن كافور فيقول عنه أنه: **"من أعظم الملوك جودا، ممدوحا، سيوسا، كثير الخشية لله والخوف منه، وكان يجاري المعز صاحب المغرب ويهاديه، وصاحب بغداد واليمن وكان بمجلس المظالم في كل سبت إلى أن هلك**[4].

كما ينقل لنا ابن تغري بردي صورة كافور نقلا عن الذهبي يقول: "إنه كان يدني الشعراء ويجيزهم وكانت تقرأ عنده السير وأخبار الدولتين الأموية والعباسية، فطنا ذكيا، جيد العقل داهية، وكان له نظر بالعربية والأدب"[5].

أما الدكتور مصطفى الشكعة فينقل لنا صورة حقيقية عن كافور فيقول: "الحقيقة كاملة أن كافور كان من خير الرجال الذين حكموا مصر، وكان سياسيا بارعا، وقائدا مظفرا، وفارسا، يحسن صناعة الحكم ويهيئ الخير والرخاء للناس، كان متعلما، ومثقفا وكريما صاحب دين وورع وتواضع... ولم يستطع الفاطميون دخول مصر إلا بعده فكانوا يلقبونه بالحجر الأسود. وينقل لنا الدكتور مصطفى أيضا رواية القلقشندي أنه لم يجد أرباب الأموال من يقبل الزكاة منهم فرفعوا الأمر إليه فأمرهم أن يبنوا المساجد ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا"[6].

وقد أظهر البرقوقي نفسه في شرح ديوان المتنبي حينما قال إن هجاء المتنبي لكافور يخالف ما جاء به التاريخ عن كافور من صفات حميدة حتى يخرج من دائرة هذا النسق المغاير للواقع، ونقل لنا قضية عندما سئل كافور وعوتب على وعده للمتنبي قال: "وجدت التعالي في شعره وسموه بنفسه وعدم تقبل من يحكم له وقال قولته الشهيرة: "يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم، أما يدعي المملكة مع كافور"[7].

فبعدما رأينا الواقع الحقيقي في التاريخ، نجد النسق المضلل لهذا الواقع الحقيقي في الهجاء من خلال أقواله وهي: "إني نزلت بكذابين ضيفهم- أكلما اغتال عبد السوء سيده- الحر مستبعد والعبد معبود- أولى اللئام كويفير معذرة..إلخ"، فهناك الكثير من الجمل النسقية التي ضللت التاريخ عبر أنساقها اللغوية والجمالية بدون وعي أو منطق حتى أصبحنا نتبعها بدون نقد والغريب في الأمر أن هذا المعنى النسقي الذي نحن بصدده يتكرر أمامنا في كثير من الخطابات وخاصة الخطاب الإعلامي، ولم ننتبه له، والدليل كوجه ملحوظ إذا غضب زعيم دولة من زعيم دولة أخرى تتوالى اللعنات والخطابات... إلخ، كلها عليه وعلى قومه وعلى تاريخهم، بل الأخطر من ذلك يستولي الخطاب الإعلامي تضليل شخصية زعماء لبلادهم أنفسهم، أصحاب مكانة وعدل ويجعل التاريخ والثقافة تنظر إليهم نظرة إما عابرة أو دونية، وذلك لحساب ثقافة الهيمنة والآنا الطاغية وسنتحدث عليها فيما بعد.

---

(4)- ابن خلدون: كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ج 4، ص: 672.
(5)- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج 4، ص: 8.
(6)- مصطفى الشكعة: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراق، دار عالم الكتب، بيروت، 1983، ط 4، ص: 356-357-358.
(7)- عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص: 16.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

ب- تحقير الآخر والاستهزاء به:

هذا النسق ناتج عن قوة النسق المضلل، صاحب الفحولة الطاغية، فنجده في قوله: "عبد السوء صار الخصي إمام- نامت نواطير مصر عن ثعالبها- لا تشتري العبد إلا والعصا معه- إن العبيد لأنجاس مناكيد- يسيء بي فيه عبد- ذا لأسود المثقوب مشفرة- جوعان يأكل من زادي- وهو بالفلس مردود...إلخ" فكما رأينا فهو يستغل الفحولة الشعرية ويستغل النسق البلاغي كي يمرر العيوب والصفات السيئة بهذا الخطاب الجمالي ولذلك تم كشفها من خلال العودة إلى الأصل والمنطق وتعرية الجمالي، وذلك لأن الصفات التي وصف بها هو ليس له دخل فيها والحقيقة أثبتت عكس ذلك، فهو شجاع وليس جبان وصادق وليس كذاب وكل ما اتصف به لم يكن له صلة بالواقع سوى أنه كان عبدا وخصي، وهذا ما استغله المتنبي، وهذا نوع أو واحد من الرموز الذي يسعى فيها النسق لمحو الآخر وتحقيره فالأنا والأخر عنوان بارز في شعر المتنبي وعدم اهتمامه بالآخر هو عنوان الفحل الشعري صاحب الأنا الطاغية التي تحول الحق إلى باطل والعكس.

ج- الأنا الطاغية واعتداد الذات بذاتها:

هذا النسق بارز في صفاته من التعالي والعظمة والكبرياء، ويظهر ذلك في قوله: "لولا العلى لم تجب بي ما أجوب بها-ما كنت أحسن أحيا في زمن-الفحول البيض-يأكل من زادي..."، فهذه الذات التي نعلمها جميعا من كبرياء وتعالى سواء في هذه القصيدة أو في أخرى كقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم[8]

وهذا يدل على مدى تحول النحن القبلية إلى النسقية ثم إلى الفحولية، وظل يمتد حتى أصبح له يد قوية في صناعة الطاغية سواء كانت شعرية أو سياسية أو اجتماعية، لذلك نجده في هذه القصيدة يريد أن يحول حقيقة واقعية معروفة وبارزة إلى خيال سيئ يظل ثابتا لأنه لم يظفر بما يريد.

د. الهجاء المدحي:

هذا النسق حاولت أن أضعه كي أحلل النقيض بمثله وهذا النسق يتركز حول نقطتين رئيسيتين، الأولى في مدح المتنبي لكفور ثم هجاءه له رغم كرمه معه، بخلاف الإمارة أو مبتغى المتنبي نفسه، والثانية باعتبار أن هذه القصيدة هي قصيدة مدح وليست هجاء، وهذا ما نراه الآن. فالنقطة الأولى المتمثلة في المدح ثم الهجاء وما فيهما من تناقض نسقي وظاهري أبدأ بالبيت الذي يبرر لنا ما نقول سواء من المدح ككل أو على ما نحن بصدده الآن، فيقول المتنبي في مدح كافور[9]:

---

[8]- ديوان المتنبي: مرجع سابق، ص: 84-85.
[9]- نفس المرجع: ص: 326.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وإن مديح الناس حق وباطل ومدحك حق ليس فيه كذاب

فهذا البيت النسقي هو جملة ثقافية بارزة في المدح وتؤكد على أن المدح فيه الحق والباطل أي اعتراف من المتنبي نفسه على مدى خطورة المدح وتمريره للخطاب الثقافي في تحويل الباطل إلى حق، أما ما يقابل المدح بالهجاء فقوله:

كرم في شجاعة وذكاء في بهاء وقدرة في وفاة[10]

فيقابله في قصيدتنا:

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

وجود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

فنجده يصفه بالكرم والشجاعة والذكاء والوفاء وهذه صفات حقيقية ويعود ويصفه بنقيضهم من الكذب والبخل وعدم الوفاء.

وأيضا في مدحه يقول:

من بيض الملوك أن تبدل اللون بلون الأستاذ والسخناء[11]

فيقابله بهجاء في قوله:

وإن ذا الأسود المثقوب مشفرة تطيعه ذي العضاريط الرعاديد

فبدأ بمدحه مسقطا عن نفسه السواد مع العلم أنه مدح مضمر أيضا لأنه يحول السواد إلى مدح وفي الهجاء يتناوله بسخرية وإيذاء، ويزيد في الاستنكار والسخرية فيقول كيف من يتصف بذلك يجد الجميع يطيعونه ويهابونه.

وفي سير أعلام النبلاء" يقول:

"كان كافور مهيبا ، سائسا ، حليما ، جوادا ، وقورا ، لا يشبه عقله عقول الخدام،

لذا يقول المتنبي عنه مادحا:

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا

(10)- ديوان المتنبي: مرجع سابق، ص: 288.
(11)- ديوان المتني: مرجع سابق، ص: 288.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وقد أقام عنده أربع سنين ، وناله مال جزيل ، ثم هجاه لآمة وكفر لنعمته ، وهرب على البرية ، وسرعان ما يتحول المدح إلى هجاء فيقول المتنبي:

من علم الأسود المخصي مكرمة أقوامه البيض أم آباؤه الصيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود[12]

ويقول مادحا له عندما أهداه فرسا أيضا:

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيم

فيقابله عن الهجاء بقوله:

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تغنى العناقيد[13]

ويقول أيضا مادحا:

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملي على وأكتب[14]

فيقابله في الهجاء فيقول:

أولى اللئام كويفير بمعذرة في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

وإذا تتبعنا المدح والهجاء نجد ما يقابله ولكن نسق الهجاء كان أقوى فأصبح هو الطاغي على المدح مما تسرب إلينا من خلال الجمال البلاغي الذي لا ننكره وأصبح هو الحقيقة المقبولة بدون وعي أو منطق.

أما النقطة الأخرى في أن يكون الهجاء مدح فكيف ذلك وهو قد بدأ القصيدة بأن يرفض مجيء العبيد إذا لم يأتي بجديد ويطلب منه البعد لعدم وجود الحبيب، ويبرز لنا أنه لا يبحث إلا على المال والمقابل والا لم يتعب ويمدح ويطبع نفسه في وسط الهموم والأحزان التي لا يستطيع الخمر والأفراح أن تخففها عنه أو تنسيه لأنه لم يحقق مراده، لذا نجده حزين على عدم حصوله على الولاية رغم أن كافور كان كريم معه فالمديح هنا لكافور لأنه خاف من العيب النسقي في الشخصية على الناس فالمتنبي لا صلى ولا صام ولا قرأ قرآن وادعى النبوة، فلم تقبله الناس وهذا ما ذكرناه عندما كان رده على العتاب في شأن المتنبي، وأما الخيانة والاغتيال فهي بعيدة عن كافور فهو قد وفق مع أبناء الإخشيد رغم صغر سنهم وكأنه يحول الهجاء إلى مدح، أما جمعه للعبيد والفقراء فهذه ميزة وليست هجاء، أما كونه عبد ويصل إلى ما فيه، فهذا له وليس عليه، وأما الجملة الثقافية التي كان لها صدى قوي في المضمر من حيث أن العبيد ليس لهم إلا العصا والعنف والقوة وهو ما يتجسد لنا من خلال تعامل القوة والسلطة مع الشعب وهذا عيانا بيانا بل في بعض الأحيان نجد هذه الجملة في حديث أصحاب النفوذ والسلطة والتعالي على الناس: لا تشتري العبد إلا والعصا معه، إن العبيد لأنجاس مناكيد. وكذلك جملة "عبد وهو محمود" فيمدحه ويهجوه لأن الجميع يشكرونه ويحبونه، وكذلك جملة "تطيعه ذي العضاريط الرعاديد"، فهي تدخل في المدح والثناء وكذلك "أقومه البيض، أم أباؤه، الصيد"، والتي تدل على قوة الشخصية التي اعتمدت

(12) https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=3528&bk_no=60&flagسير أعلام النبلاء، ص 194. تاريخ 2020/12/1
(13)- ديوان المتنبي: مرجع سابق، ص: 297.
(14)- ديوان المتنبي: مرجع سابق، ص: 302.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

على طياتها وتحملت المسؤولية. ونختم بمقولة "أن الفحول البيض عاجزة" فوجود لغة الفحل في شعر المتنبي وخاصة في هذه القصيدة تؤكد مدى النسقية التي حولت الحق إلى الباطل والعادل إلى ظالم، والصادق إلى كاذب وجعلت الجمال البلاغي يفوق الثقافي ويحول الخطاب إلى اللامعقول السحري. فلذلك يجب أن نسعى لفتح باب البحث في المضمرات النسقية التي تبرز لنا كل ما هو خفي فيبرز لنا الواقع ولا ننخدع بسلطة الجمال البلاغي دون التفريط فيه، ونحاول أن نفهم الخطاب وما يوحي به من مضمرات، وهذا ما لمسناه عندما صور المتنبي كافور بهجاء مر صوره بأبعد ما تكون عليه صورته الحقيقية، فحوله إلى رمز من رموز الخيانة والجبن والخفة العقلية، لدرجة أن كلمة كافور أصبحت في المعجم الشعري المعاصر كما سنبينها مرادفة لهذه المعان السيئة، وهذا ما نراه جاليا في كل الخطابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالبقاء لصورة الأقوى أي كان هذا الخطاب.

و- ثقافة صورة كافور في الشعر الحديث:

فثقافة الصورة التي نقلها الشعراء العرب في العصر الحديث هي ثقافة ربط كافور بالمتنبي وعلو خطاب الهجاء والخيانة في لغتهم، وهذا هو المعتاد والمنتظر من تسرب الأنساق الثقافية إلى الوعي بدون منطق أو تحقق، لذا يقول نادر كاظم" إن المتنبي جمع بين متناقضين في الأدب العربي، في كافورياته التي مدح بها كافور ثم هجاه،" فهو إن شاء أن يهجو طابق بين مضامين شعره ومضامين المتخيل العربي وصوره، وإن شاء أن يمدح انحرف عن مضامين المتخيل وصوره" [15] ويظهر ذلك جاليا مع أمل دنقل: الذي حاول استحضار صورة المتنبي وكافور في قصيدته من مذكرات المتنبي في مصر، وذلك كي يمرر من خلالهما ما لا يستطيع أن يقوله بصراحة ووضوح في وقت النكسة والهزيمة من إسرائيل، فاستغل الأنساق المضمرة بطرق مباشرة وغير مباشرة فألبس الصفات القبيحة ونار الهزيمة على كافور مختبئا وراء ثقافة الصورة التي رسخها المتنبي في الأذهان بدون وعي، ولما لا والمتنبي في عصره، يمثل ثقافة الصورة الإعلامية المعاصرة.

ويجعل أمل دنقل كافور رمزا للخيانة فيقول:

أ مثل ساعة الضحى بين يدي كافور

ليطمئن قلبه، فما يزال طيره المأسور

لا يترك السجن ولا يطير

أبصر تلك الشفة المثقوبة

ووجهه المسود، والرجولة المسلوبة

أبكي على العروبة إلى قوله:

بين يدي أميرها الأبله

لعنت كافورا، ونمت مقهورا

(15) - نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي ، الوسيط، (البحرين، وزارة الثقافة،2004)، ص 470.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

وفي نهاية القصيدة يستحضر قصيدة العيد ليبرز مدى السخرية والاستهزاء متمثلا في ذلك كافورا كنسق اخترق إليه في صورة سيئة فتمثله بدون وعي أو تحقيق وملأ شعره فيقول:

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى؟ أم لأرضى فيك تهويد نامت نواطير مصر من عساكرها

وحاربت بدلا منها الأناشيد ناديت يا نيل هل تجري المياه دما

لكي تفيض، ويصحو الأهل إن نودوا؟

عيد بأية حال عدت يا عيد؟

فالنسق الذي جعل أمل دنقل ينساق وراء المتنبي بالصورة النمطية التي اخترقها عن كافور بأنه عبدا خص ذات درجة متدنية؛ ناتجة عن الجمالي البلاغي والأنا الشعرية الطاغية[16]، رغم الرفعة والعلو والوفاء الذي يصف التاريخ فيه كافور وظلم النسق الشعري، وأيضا ارتباط الخيانة في ذهن العقل العربي بالعبد الأسود، جعل الشعراء يتمثلون في صورة كافور، ورغم أن هناك ملوك وأمراء كانت خيانتهم بارزة، ولكن نسق الاستفحال الشعري أعلى.

وفي قصيدة "قرارات في الزمن الغارب"، للشاعر أحمد صالح وهنا يستحضر صورة كافور كصورة متدنية في الخيانة عام 1975 عندما بدأت ملامح سياسة الصلح مع إسرائيل، فيقول:

قرضتك مرض

وملكت (كافور) ما فيك من شهوة غرغرتني

فمن أين جئت بهذا الهوى المستكن بنبض

وبعد زيارة السادات لإسرائيل قال قصيدة بعنوان "في ضيافة أبي الطيب" مستحضرا الصورة السيئة لكافور فيقول:

يا أبا الطيب

ما أنضجت جلد الآبق المخصي

ما كشفت عن سوءاته

إن أحداث "أبي المسك

تعاويز حواة

وتعاويز القوافي – يا أبا الطيب

(16)- أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت 1998، ص: 77.

وكافور يبيع تخت بلقيس في المزادات

إلى قوله:

والحراس... باقون على الأفواه

كافور

سخين العين يسقي ربه الخمر

وخيل الله؟ !

تبكيها عيون بعد مازالت صبية

بعد .... مازالت عيون عربية

أما محمود درويش فسرعان ما يكون شعره سباق بحكم وطنيته، ودوره الكبير في الدفاع عن القضية الفلسطينية فلم يستطع أن يصمت ورغم ذلك لجأ للنسق المضمر، وألبس السادات ثوب كافور، لقبوله معاهدة السلام كامب ديفيد، فينقل لنا صورة كافور من خلال ما ترسخ فينا فيقول:

وطني قصيدتي

أرى فيما أرى دولا توزع الهدايا

وأرى السبايا في حروب السبي تفترس السبايا

في مصر كافور وفي زلازل

للنيل عادات

وإني راحل[17]

هذا هو العبد الأمير، وهذه الناس جياع

وذلك النسق لاستحضار صورة كافور لنفس الشيء عندما وقع السادات اتفاقية سلام مع إسرائيل، وألبس درويش السادات ثوب كافور، واستحضر درويش قول المتنبي:

أكلما اغتال عبد السوء سيده أو خانة فله في مصر تمهيد.

أما نزار قباني على نفس الواقعة مع إسرائيل والسادات من ديوان "اليوميات السرية" ويمثل السادات بصورة كافور، تعلو نبرة نزار ويجعل من السادات كافور وهو يبيع رمز من رموز الوطن بل تاريخها وأقوى رموزها وهي الاهرام، فيقول:

(17)- محمد فؤاد سلطان: الرموز التاريخية والأسطورية في شعر درويش مجلة جامعة الأقصى ن ج 14، العدد الأول، يناير 2010، ص: 8.

IJSSP
المجلة الدولية لنشر الدراسات العلمية
المجلد الثامن – العدد الثاني – البحث الثامن (ص: 143 - 156)
15 – شباط – 2021 م
www.ijssp.com ISSN: 2707-5184 International Journal of Scientific Studies Publishing

قل أتتك الأخبار يا متنبي

إن كافور فكك الأهرام

سقطت مصر في يد قروي

لم يجد ما يبيع إلا الترام[18].

أما ناجي علوش فلم يكون أقل من هؤلاء فقد طغى عليه النسق الثقافي في قصيدته" محاورة مع أبي الطيب" فيقول:

"وتحمّلوا عبء الدم المهراقِ في غير
القضيَّةْ....
وتذكّروا أن الدماء هي الدماء
وأنني كنتُ القتيل
وقاتلي ليسَ القتيل..
وتذكروا أني رأيتُ دمي على
قسماتِ كافور الزريّةْ..."[19]

أما خضر الحمصي فنصيبه من النسق لا يقل عن الآخرين فيقول قصيدته على لسان أبي الطيب:

"يسرُّ فؤادي في هواكَ عتابُ
إذا قلتُ شعراً هل لديكَ جوابُ؟
أبا محسدٍ والمجدُ أنتَ قرينُهُ
جناحاكَ في عصفِ الرياحِ ركابُ
مدحتَ كراماً واستهنتَ بغيرهم
ونمتَ قريراً، والأنامُ غضابُ
تجاوزتَ بالهجوِ المريرِ لمعشرٍ
كرامٍ فهل هجو الكرامِ صوابُ؟
ومدحكَ كافوراً تريدُ ولايةً
فهل نفعَ المخصيّ منكَ خطابُ"

لذا نجد أن النسق الثقافي المضمر طغى على كثير من الشعراء، وجعلنا نعيش مع هذا النسق المخالف والمضمر لما هو فحلي وطاغي على ما هو حقيقي وواقعي ولا أنسى أننا أمام نسق لم يكن له أصل ديني فقط بل له أصول وما نحن بصدده الآن هو ذكر آية من القرآن يقول فيها الله عز وجل في سورة البقرة: **((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادْ))**[20].

(18)- نزار قباني: ديوان اليوميات السرية، قصيدة نزار قباني، عن أنور السادات، مجلة المرابط الراصد، 10، 2010.
(19) - ناجي عَلّوش، مجلة الآداب، العدد الأول، كانون الثاني، 1980، بيروت، ص 26.
(20)- سورة البقرة: الآية 204-205.

وهذه الآية تجعلنا نتأكد أننا نسير في طريق الحق حتى لا ننخدع بما هو ظاهر من جمال القول الذي يضمر ما هو يسيء فنقع فيما وقع فيه الكثيرون سواء هذا الخطاب أدبي أو سياسي أو اجتماعي أو ديني، ورغم أن الخطاب موجه لنبي ونزلت في المنافق، ولكن تعمم على الجميع بعد ذلك كما قال محمد بن كعب في تفسير الطبري : "إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد"[21].

ولا يروقنا في الختام إلا بمقولة غازي القصيبي عن المتنبي في هذا الصدد فيقول: "ما الذي حول شاعرا أجيرا إلى أعظم شعراء العربية عند البعض، وإلى واحد من أعظمهم في نظر الجميع؟ وما الذي يجعل منه في أيامنا هذه أكثر معاصرة من معظم المعاصرين؟.. كان المتنبي ككل شاعر عظيم قادرا على تصوير النفس البشرية مجردة من قيود الزمان والمكان، كان يملك حاسة سادسة، لا نعرف كيف ولماذا جاءت، جعلته وثيق الصلة بالنفس العربية تحديدا وبكل عمومها وتطلعاتها...

عبر المتنبي بصدق عن ظمأ النفس المحترقة إلى الأمجاد، وسخر من قيادات زمنه؟ الأصنام التي لا تحمل عفة الصنم والأرانب النائمة بعيون مفتوحة، ووصف باحتقار الشعوب الخانعة التي ترعى وكأنها قطعان غنم، وتحدث بوجع عن عيش الذليل الذي يتحول إلى موت أسوأ من الموت الحقيقي، ولم يتورع عن وصف الأمة بأسرها بأنها أضحوكة لأمتهم.[22]

الخاتمة:

وإذا كنا قد لجأنا إلى النقد الثقافي والمضمرات النسقية الثقافية في تحليل قصيدة العيد، فلم نستطع أن نستكمل العناصر التي تحتاج إلى وقت كاف من أجل البحث والتحليل والتوجيه، ولكن ما أشرنا إليه أثبت لنا أننا في حاجة إلى وقفة جادة لإعادة دراسة فكرنا العربي والوقوف على ما هو سبب في وقوفنا بل تراجعنا إلى هذا الحد، والعمل على توحيد الجهات والنقاد والأدباء من أجل تثبيت منهج محدد ومثمر يكون من خلاله المخرج إلى النور والعودة إلى ما وصل إليه تراثنا المثمر، والتنازل عن بعض المنجزات والمصالح الشخصية التي جعلتنا ننساق إلى ما هو أقل وأسوأ، أما البحث عن الفضاء الثقافي في النص العربي فهو موضوع سيكون له صدى في وضع الخطوط العريضة للتحليل الثقافي وفتح آفاق القارئ العربي وإعادة الثقة لمن كان الخطاب القرآني والخطاب النبوي هما مصدرا تشريعه الديني.

هذا بالإضافة إلى التوجه الغير مباشر تجاه الخطابات الجديدة المعاصرة التي انتزعت الريادة والسلطة من الشعر، وسحبت بساط القوة والتحكم من تحت أرجل الشعراء، بداية من الرواية والسرد العربي وعلو همة الرواية حتى أصبحت شعر الدنيا الحديث، وأصبحنا نعيش زمن الرواية، إلى الخطابات الجمهورية السلطوية التي اندلعت من رحم التكنولوجيا بداية من ثقافة الصورة التي لاقت توجه جمهوري عالي وأصبحت علامة رئيسية في الخطاب الإشهاري، ووسائل التواصل الاجتماعي، وأيضا الخطاب الإعلامي الذي أصبح أداة لها تأثير فعلي في السلطة على الجمهور. وأخيرا وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة "السوشيال ميديا" التي تعدت الحدود عن باقي الخطابات وأصبحت علامة بارزة في التأثير والوصول إلى الجمهور شئنا أم أبينا، جل هذه الخطابات حتمت على المفكرين والأدباء أن يكون هناك منهج نقدي جديد، يستطيع أن يجاري الواقع ويستخرج المضمر الثقافي منها، بالإضافة

---

[21]- محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، تحقيق محمود دار المعارف، مصر، ص: 232.
[22]- غازي القصيبي: **الخليج يتحدث شعرا ونثرا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2004.
عن قبيلتي أحدثكم، ص: 47، 48

إلى مسايرة هذا الواقع الثقافي الجديد الذي أصبح علامة بارزة في الحياة المعاصرة، وأصبح جمهوره أعم وأشمل لأنه تعدى القارئ المثقف، إلى القارئ العادي، وجمع بين الأجيال ووحد فكرهم بعيدا عن السلبيات والإيجابيات.

المصادر والمراجع:

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1992، ج 4.

https://islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&ID=3528&bk_no=60&flagسير أعلام النبلاء، ص 194. دخول بتاريخ 2020/12/1

ابن خلدون: كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، 1968، ج 4.

أحمد صالح: ديوان انتفضي أيتها المليحة، دار العلوم للطباعة والنشر، 1983. محمد فؤاد سلطان: الرموز التاريخية والأسطورية في شعر درويش مجلة جامعة الأقصى ن ج 14، العدد الأول، يناير 2010.

أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت 1998.

خضر الحمصي، مجلة المعرفة السورية، دمشق، العدد 399- كانون الأول-1996.

ريجيس بلاشير، في كتابه "أبوالطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي.

سوزان بينكي ستيتكيفيتش، في كتابها "أدب السياسة وسياسة الأدب".

عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

عبد الله الغذامي: "النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.

عن قبيلتي أحدثكم، ص: 47، 48

غازي القصيبي: الخليج يتحدث شعرا ونثرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 2004.

كرم البستاني: ديوان المتنبي، تحقيق وشرح كرم البتساني، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة، 2000 .

محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، تحقيق محمود دار المعارف، مصر.

محمد صالح الشطي: متابعات أدبية، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الدمام، 1982.

مصطفى الشكعة: أبو الطيب المتنبي في مصر والعراق، دار عالم الكتب، بيروت، 1983، ط 4.

ناجي عَلّوش، مجلة الآداب، العدد الأول، كانون الثاني، 1980، بيروت، ص 26.

نادر كاظم، تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي ، الوسيط، (البحرين، وزارة الثقافة،2004).

نزار قباني: ديوان اليوميات السرية، قصيدة نزار قباني، عن أنور السادات، مجلة المرابط الراصد، 10، 2010.